تحولت الى حركة معادية للتقدم في مرحلة نمو الرأسمالية وتصاعد حركات التحـــرر القومية . ولذا فان هذه الدعوة القومية البرجوازية تحتفظ لنفسها من صفات البرجوازية بأسوأ هذه الصفات ، أي المتاجرة والاستغلال والسيطرة . « ان قومية اليهود الوهمية هي قومية التاجر ، قومية رجل المال ، والتحرر اليهودي في معناه الاخير هو تحريـــر الانسان من اليهودية »(٩) .

فالدعوة اليهودية القومية ، كغيرها من الدعوات القومية الاخرى التي نشأت في اوروبا في منتصف القرن الماضي واواخره ، هي دعوة البرجوازية اليهودية ، الناتجة عن والمرتبطة بعصر انتصار الرأسمالية على الاقطاعية وبدء البحث عن سوق وطنية مستقلة وخاصة بها .

الا ان الدعوة القومية اليهودية ، والتي تشكلت على اساسها الحركة الصهيونية ، تختلف عن باقي الدعوات الاوربية في شيئين أساسيين : ١ ــ لم يكن لليهود أرض ولغة واقتصاد وثقافة مشتركة ، وبالتالي لم يكن لهم « دولة قومية » يهدفون الى تأسيسها بازالة الحدود بين اجزائها ، في حين ان هذا كان متوفرا للالمان والرومانيين والايطاليين وغيرهم . ٢ ــ اقترنت الدعوة القومية اليهودية بالدعوة الى تحرير اليهودي مـــن اضطهاد المجتمع له . وبالتالي تهجير هذا اليهودي من وطنه الذي يعيش فيه سواء كان المانيا او بولونيا او روسيا ، الى وطن اخر مستقل وخاص به واستندت هذه الدعوة على الدين اساسا للوصول الى أوسع الطبقات الكادحة والفقيرة ، واثارة حسها الديني وترسباتها التاريخية العميقة وتطلعاتها المشروعة للعيش بسلام في مجتمع يتساوى فيه الافراد على اختلاف اديانهم . فالدعوة القومية اليهودية التي تبنتها وهدفت الى تحقيقها الطبقة البرجوازية اليهودية ــ حسب نصوص مفكري هذه الدعوة ــ تهدف الى تحرير اليهودي من الاضطهاد والغربة والانعزال !!

من المؤكد والثابت تاريخيا ان الطبقة البرجوازية اليهودية لم تكن تعاني من الاضطهاد والغربة ، بل على العكس من ذلك ، كانت هذه الطبقة ، بما تراكم لديها من رأس مال سائل وخبرة تجارية عريقة ، تشكل شريحة فوقية بارزة في المجتمع ، وقادرة عـــلى التحكم في سياسة البلد الذي تعمل فيه ، وكانت البيوتات المالية اليهوديـــة المشهورة امثال روتشيلد، وهيرش وغيرهما تحتل مواقع اقوى بكثير من رجال السلطة والسياسة المسيحيين في هذه الدولة او تلك ، وبالتالي فان المطلوب تحريره وايجاد وطن له ليس بالتأكيد شرائح هذه الطبقة التي تتربع على قمة السلطة والثورة ، بدليل انها لم تزعج نفسها حتى بمجرد التفكير بتبديل الوطن الذي تحيا فيه ، والهجرة الى الوطن القومي اليهودي العتيد ، وكان حسبها أن تلقي بفتات من أموالها الهائلة المكدسة على شكل هبات خيرية لمن افلحت الحركة الصهيونية باقناعهم بالهجرة الى الارجنتين ثم الـــى فلسطين لتأسيس الدولة القومية اليهودية هناك .

فالدافع الرئيسي اذن خلف هذه الدعوة القومية البرجوازية كان في الاساس نمـــو الطبقة البرجوازية اليهودية الى جانب زميلتها البرجوازية المسيحية ، وحاجة كل من هاتين الطبقتين الى توفير سوق مستقلة خاصة بكل منهما . الا ان تثبيت الرأسمالية وانتصاراتها المتوالية وبدء البحث عن اسواق جديدة خارج حدود الدولة القومية ذاتها، ووفرة هذه الاسواق في القارات الثلاث آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، أدى الـــى المصالحة بل والتعاون بين هاتين البرجوازيتين وسهّل تحالفهما من أجل مصلحتهما المشتركة التي تتطلب منهما التحالف من أجل الهدف المشترك : السيطرة على الاسواق القديمة والجديدة . كما تتطلب منهما التضامن ضد العدو المشترك : الطبقات الكادحة وتنظيماتها الديمقراطية الاشتراكية والتي بدأت تشكل خطرا يقينيا بالنسبة اليهم .